رجل البيت

قصة ايرلندية لفرانك اوكونر

ترجمة : نعيم عطية

فرانك اوكنر اديب ايرلندي ولد عام ١٩٠٣ . وكان ذا ميول فنية منذ صغره . هوى الرسم في اول الامر الا انه على حد قوله وجد ان الكتابة وسيلة للتعبير اقل تكاليف من الرسم ، فالكتابة لا تكلف الا قلما وبضع ورقات بيضاء .

وتتجلى في قصته القصيرة هذه مقدرة الرسام على اغراق التفاصيل في لجة سحرية من الضياء والظلال. ولا شك ان وصف الطريق الذي سلكه الصغير فلودى سوليفان الى الصيدلية هو لوحة رائعة الجمال . كما تتجلى في القصة مقدرة الاديب على الباس الوقائع العادية البسيطة ثوبا مطرزا بخيوط الفضة والذهب النفيسة .. انها قصة صبي صغير مرضت امه فاراد ان يكون رجل البيت وان يضطلع بالمسئولية الى حين شفائها ..

ولعل من امتع تفاصيل القصة التقاء الصغير بحواء الصغيرة التي اغرته على اكل الثمرة المحرمة . وكما قد تكون الثمرة المحرمة تفاحة شهية قد تكون ايضا زجاجة دواء للسعال حلوة المذاق . ما الذي يمنع من ذلك ؟

ولفرانك اوكونر عدة مجموعات قصصية منها « عش الطائر غير الاليف ١٩٣٢ » و « اسباب الخصام ١٩٣٦ » و « تجارب مسافر ١٩٥٠ »

* *

عندما استيقظت ، سمعت امي تسعل ، اسفل في المطبخ كانت تسعل منذ بضعة ايام ، ولكنني لم اعر الامر التفاتا . كنا نسكن في طريق اول يوجال في ذلك الوقت ، ذلك الطريق الجبلي العتيق الذي كانت تمر به العربات الى ايست كورك . كان صوت السعال فظيعا فارتديت ثيابي ونزلت الدرج حافي القدمين الا من جوربي ، وفي نور الصباح الوضيء رأيتها ، وقد هوت في مقعد من القش ، ممسكة بجانبها ، غير منتبهة الى ان ثمة من يراقبها . كانت قد بذلت محاولة لاشعال الموقد ، الا انه قد استعصى عليها . وبدت جد متعبة وخائرة القوى حتى انفطر قلبي اشفاقا عليها . وجريت اليها . وسالتها : «هل انت بخير يا اماه ؟

واجابتني محاولة الابتسام : سأكون على ما يرام في ثانية . كان الحطب القديم جافا ، فجعلني الدخان انخرط في السعال .

وقلت لها : اذهبي الى الفراش ، وسأشعل انا النار

فقالت في قلق : اه كيف يمكنني ذلك ، يا صغيري ؟ من المؤكد ان علي ان امضي الى العمل .

وقلت لها : لا يمكنك العمل وانت على تلك الحال . سانقطع عن المدرسة واعتني بك .

انه لشيء مضحك ، ذلك النحو الذي تتلقى عليه النساء الاوامر من اي مرتد للسراويل حتى ولو كان لم يتعد العاشرة .

وقالت لي وقد داخلها شعور بانها اذنبت في حقي : لو امكنك ان تهيء لنفسك قدحا من الشاي ، فسأكون على ما يرام فيما بعد ونهضت ، وهي جد مرتعشة ، وصعدت الدرجات في مشقة ، مما جعلني ادرك انها لا بد ان تكون على غاية من المرض .

وجلبت مزيدا من الحطب من المخزن الكائن باسفل السلم . لقد كانت امي مقتصدة لدرجة انها ما كانت تستعمل القدر الكافي من الحطب قط ، وهذا هو السبب الذي يجعل النار تخبو في بعض الاحيان ويستعصي عليها ايقادها . اما انا فقد استعملت حزمة باكملها ، وسرعان ما تحصلت على نار متأججة في الموقد ووضعت عليه الاناء . ثم مضيت اصنع لها الخبز المقدد . فقد كنت من كبار المحبذين للخبز المقدد المدهون بالزبد الساخن في كل ساعات النهار . ثم اعددت الشاي . وحملت اليها قدحا منه في صينية . وسألتها : هل انت على ما يرام ؟

وسألتني متشككة ، هل استبقيت قليلا من الماء المغلي ؟

وقلت لها مصدقا في بشاشة ، انه جد مركز متذكرا صبر القديسين في ضائقاتهم واضفت قائلا سأعيد صب نصفه في الاناء .

وتنهدت قائلة : انني جد متعبة

وقلت متناولا القدح : انها غلطتي . فانا لا استطيع ابدا ان اتذكر شيئا عن الشاي . ضعي الوشاح حولك وانت تجلسين . هل اغلق كوة السقف ؟

وسألتني متشككة : هل يمكنك ؟

وقلت وقد احضرت المقعد الى حيث الكوة ليس هذا بالامر الصعب سأتلقى الطلبات فيما بعد

وتناولت افطاري وحدي الى جوار النافذة ، ثم ذهبت الى الباب الامامي ووقفت خارجه اراقب الاولاد في الطريق وهم يمضون الى المدرسة .

وصاحوا بي قائلين : الاجدى بك ان تسرع ، والا فانك ستقتل ياسوليفان

فقلت : لست ذاهبا . امي مريضة وعلي ان ارعى البيت

لم اكن ولدا خبيثا باي حال ولكنني كنت احب ان اكون قادرا على ان استعرض اسباب راحتي واتاملها على ضوء متاعب الاخرين . ثم سخنت ابريقا اخر من الماء ونظفت ما تخلف عن الافطار ثم غسلت وجهي وصعدت الى الطابق العلوي ومعي سلة المشتريات وقطعة من الورق وقلم من من الرصاص .

وقلت : ساحضر الطلبات الان لو كتبتها لي. هل تريدين ان استدعي الطبيب ؟

وقالت امي بصبر نافد : اه ، انه سيود ان يرسلني الى المستشفى فحسب ، وكيف اذهب الى المستشفى ؟ يمكنك ان تمر على الصيدلي وتساله ان يعطيك زجاجة طبية فعالة ضد السعال .

وقلت : اكتبي ذلك . فقد انسى . واكتبي كلمة فعال بالاحرف الكبيرة . ماذا سأحضر للغداء ؟؟ بيضا ؟

ولما كان البيض المسلوق هو الطبق الوحيد الذي يمكنني ان ادبره ، فقد كنت اعرف الى حد ما ان الغداء لا بد ان يكون بيضا ، ولكنها طلبت مني ان اجلب «سجقا» ايضا لتطبخه في حالة ما لو امكنها ان تغادر الفراش .

ومررت بالمدرسة في طريقي . وكان في مواجهتها تل صعدت جانبا منه ووقفت هناك عشر دقائق اتامل المدرسة في اعجاب صامت. وبدا بناؤها والفناء والبوابة كما لو كانت اجزاء لوحة ملونة . واحاط بالمدرسة جو من السكينة والعزلة فيما عدا مجموعة الاصوات المنبعثة من النوافذ المفتوحة ومنظر داني ديلاني ، المدرس ، مارا امام الباب

الامامي وعصاه وراء ظهره ، مختلسا نظرة الى العالم الخارجي ، كان بوسعي ان اظل واقفا هناك طوال اليوم . فقد كان ذلك اغلى المتع العميقة الخالصة في تلك الايام .

وعندما عدت الى البيت ، اندفعت اصعد السلم ووجدت مينى ريان جالسة مع امي . وهي امراة متوسطة العمر . على قدر كبير من المعرفة ثرثارة ، ومتدينة . وقلت مستفسرا كيف حالك يا اماه ؟ قردت علي امي بابتسامة : « عظيم »

وقالت مينى ريان : لا يمكنك النهوض اليوم ، مع ذلك

وقلت : سأضع الابريق على النار واعد لك قدحا من الشاي

وقالت مينى : سأفعل انا ذلك ، بكل تأكيد

وقلت لها بغير اكتراث : اه ، لا تتعبي نفسك ، يا انسة ريان ، يمكنني ان اتدبر الامر على ما يرام

وسمعتها تقول لامي في صوت خفيض ، لعمري ، اليس ولدا طيبا جدا ؟

وقالت امي : انه طيب كالذهب

وقالت مينى : ليس ثمة كثيرون على شاكلته اذن ، فاغلب الاولاد الان اميل الى التوحش من ان يكونوا اولادا مسيحيين

وبعد الظهر ارادت امي مني ان اخرج لالعب ، ولكنني لم اذهب بعيدا فقد كنت اعرف انني لو بعدت بعض الشيء عن البيت فقد يضلني الاغراء . كان بيتنا يطل على واد صغير ، يربض عند حافته حقل تدريبات المعسكر على رابية من الصخر الجيري ، وتحت في الفراغ العميق توجد الطاحونة والبحيرة والنهر المنساب بين تلال مكسوة بالاحراش ـ فتتخيل جبال روكي او ـ الهيمالايا او اسكتلندة ، على ما يحلو لك . وعندما انزل الى هناك اكاد انسى العالم الحقيقي . لذلك فقد اكتفيت بالجلوس على جدار خارج البيت ، وكنت اجرى كل نصف ساعة لارى كيف حال امي ، وما اذا كان ثمة ما تحتاجه .

وهبط المساء ، فاضيئت مصابيح الشارع ، ومضى الصبي بائع الجرائد مناديا عند قمة الطريق . واشتريت جريدة واوقدت المصباح في المطبخ والقنديل في غرفة امي . وحاولت ان اقرا لها ، دون كثير من التوفيق ، لانني لم اكن ملما الا بالكلمات ذات المقطع الواحد ، ولكن كانت بي رغبة شديدة للارضاء ، وكانت بها رغبة شديدة لترضى ، ولذا فقد مضينا على مايرام .

وفيما بعد ، جاءت مينى ريان مرة اخرى ، وعندما انصرفت رافقتها الى الباب . واستدارت نحوي وقالت : « اذا لم تتحسن في الصباح، فاعتقد ان من الافضل ان احضر الطبيب ، يا فلوري . »

وسألتها بانزعاج : « لماذا ؟ اتعتقدين ان حالتها قد ساءت ، يا انسة ريان ؟ »

وردت علي برصانة متصنعة : « اه ، لايمكنني ان اقول ذلك ، ولكني اخشى ان تصاب بالتهاب الرئة . »

ـ ولكن ألن يبعث بها الطبيب الى المستشفى يا انسة ريان ؟ .

وقالت وهي تهز كتفيها وتجذب وشاحها القديم حولها : « لعمري، قد لايفعل ، ولكن حتى لو فعل ألن يكون ذلك افضل من التهاون ؟ أليس لديك قطرة من الويسكي في البيت ؟ »

وقلت توا : « سأجلب بعضا منه » . كنت اعرف ماذا قد يحدث للناس الذين يصابون بالتهاب الرئة . وماذا يحتمل ان يحدث لاولادهم من بعدهم .

وقالت مينى : « لو امكنك ان تعطيها اياه ساخنا ، بعد ان تعصر عليه بعض الليمون ، فقد يساعدها على ان تنفض المرض عنها . »

وقالت امي انها لاتريد الويسكي ، خوفا من المصاريف ، ولكنني كنت قد اصبت بخوف ماكان يثنيني عن ذلك . وعندما ذهبت الى الحانة كانت مكتظة بالرجال ، الذين افسحوا لي الطريق الى البار . لم اكن قد ذهبت الى حانة ما من قبل ، فاحسست بالخوف .

وقال لي واحد من الرجال وهو يبتسم لي ابتسامة شيطانية : « هالو، يا صديقي القديم . أجزم انه قد مضت عشر سنوات على اخر مرة رايتك فيها . ماذا ستشرب ؟ »

وكان صديقي بوب كونيل قد اخبرني كيف انه سأل مرة رجلا مخمورا نصف كورونه ، فاعطاها اياه . قد كنت اتمنى دائما لو أتيح لي ان افعل المثل ، ولكنني لم اشعر بانني قادر على ذلك في تلك اللحظة.

وقلت : « ازيد نصف قدح من الويسكي لامي . »

وقال الرجل : « أوه ، ياللصعلوك الدعي ! يتظاهر بان الويسكي لامه ، واخر مرة رأيته فيها كان لابد من حمله الى البيت » .

وصحت مستنكرا : « لم يحصل ذلك . وهذا لامي . انها مريضة.»

وقالت ساقية البار : « أه ، دع الصغير وشأنه ،ياجوني . »واعطتني الويسكي ، ثم مضيت ، وما زلت مرتعبا من رجال الحانة ، الى متجر لاشتري ليمونة .

وعندما شربت امي الويسكي الساخن ، راحت في النوم ، فأطفأت الانوار وذهبت الى الفراش ، ولكنني لم استطع ان انام جيدا . فقد كنت نادما على انني لم أسأل الرجل في الحانة نصف كورونة ، وايقظني سعال امي عدة مرات ، وعندما ذهبت الى غرفتها كان رأسها ساخنا جدا . وخالط كلامها الهذيان . والذي اخافني اكثر من أي شيء اخر هو انها لم تعرفني ، وقبعت مستيقظا افكر فيما قد يحدث لي لو كانت مصابة فعلا بالتهاب الرئة .

وكانت خيبة الامل أفظع ، عندما لم يبد عليها في صبيحة اليوم التالي ، أي تحسن . لقد فعلت كل ما يمكنني ان افعل ، وشعرت باليأس يتملكني . اشعلت النار واحضرت لها افطارها ، ولكنني في هذه المرة لم اقف عند الباب الامامي لارى سائر الرفاق في طريقهم الى المدرسة . فقد كان من الممكن ان يجتاحني احساس شديد بالحسد نحوهم . وبدلا من ذلك مضيت الى ميني ريان واخبرتها بالامر .

وقالت في حزم : « يجدر ان اذهب في طلب الطبيب . من الافضل ان نكون متأكدين من ان نعض بنان الندم . »

كان علي ان اذهب اولا الى احد مكاتب الضمان الاجتماعي لاستحضار شهادة تثبت اننا غير قادرين على الدفع . ثم نزلت الى المستوصف الذي كان في منخفض عميق خلف المدرسة . وبعد ذلك كان علي ان ارجع لاعد البيت لزيارة الطبيب . كان علي ان أهيء قدرا من الماء وصابونا واخرج له منشفة نظيفة ، كما كان علي ان اجهز الغداء ، ايضا .

وحضر الطبيب بعد الغداء . وكان بدينا جهوري الصوت ، يعتبر نفسه ـ شانه شأن كل سكارى مهنة الطب ـ « ابرع طبيب في كورك ، فيما لو افاق الى نفسه » وهو لم يكن مفيقا الى نفسه قط ذلك الصباح، على مايبدو .

ودمدم قائلا وهو يجلس على السرير واضعا دفتر التذاكر الطبية على ركبته : « كيف ستحضر ذلك الان ؟ المحل الوحيد المفتوح في هذا

فـي البحـرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

مـن

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

الوقت هو الصيدلية الشمالية . »

وقلت له على الفور ،وقد احسست بالراحة لانه لم يقل شيئا عن نقلها الى المستشفى : « سأذهب ، يادكتور . »

وقال متشككا : « انه طريق طويل . أتعرف اين تقع ؟ »

فقلت : « سأجدها . »

وقال لامي : « اليس هذا الصغير رجلا عظيما ! »

وقالت : « أوه ، لايوجد من هو افضل منه في الوجود ، يادكتور . لو كانت لي ابنة مارعتني مثله . »

وقال الطبيب : « هذا حق . ارع امك . انها ستكون أغلى شيء في الوجود بالنسبة لك في المدى الطويل . » واضاف قائلا لامي : « اننا لانكترث بهن عندما يكن معنا . ثم نقضي بقية العمر نادمين على ذلك . »

وودت لو لم يقل ذلك ، فقد اثار أشجاني . ولكي يزيد الطين بلة لم يكلف نفسه عناء استعمال الصابون والماء اللذين اعددتهما له .

وأعطتني امي توجيهات عن كيفية الوصول الى الصيدلية ،وانطلقت متابطا زجاجة ملفوفة في ورقة بنية اللون . وقادني الطريق الى اعلى التل عبر حي فقير مكتظ بالسكان ، حتى الثكنات التي ربضت عند القمة العالية مشرفة على المدينة . ثم مضى الطريق في الانحدار بين حيطان عالية ، حتى كاد يتلاشى فجأة في زقاق حجري قامت على احد جانبيه بيوت النقابة المبنية من قوالب الطوب الاحمر . ومال الزقاق منحدرا منحدرا حتى وادي النهر الصغير حيث قام مصنع للجعة . اما جانب التل المواجه فقد كانت تغطيه بيوت مثل خلية نحل طنانة ، وكان يصعد الى القمة المستديرة في لطف حيث قام مبنى الكاثيدرالية المشيد من جحارة رملية ارجوانية اللون . وبدا برج كنيسة شاندون المذنب المبني من الحجر الجيري على مستوى نظرك .

كان المشهد جد رحب حتى ان الضياء ماكان يكسو ارجاءه كلها . وكانت اشعة الشمس تجوس خلال المروج فتبرز خطا من الاسطح اللامعة لمعان الثلج ، ثم تغوص بعد ذلك الى اعماق بعض الطرقات المظلمة ،وترسم في الظلال اشكال عربات صاعدة وجياد تغالب المنحدر . وملت على الحائط الخفيض وتصورت كم يكون المرء سعيدا وهو يتأمل ذلك المشهد، لو لم يكن هناك مايؤرق باله . وانتزعت نفسي من تأملاتي متنهدا ، وهرولت دون توقف الى أخمص التل . ثم مضيت اصعد عددا من الازقة الظليلة المدرجة حول مؤخر الكاتدرالية التي بدت الان هائلة الحجم . وكان معي بنس سبق لامي ان اعطتني اياه من قبيل التشجيع . وقررت انني عندما افرغ من مهمتي لابد ان أدلف الى الكاثيدرالية واشتري به شمعة اوقدها للعذراء المقدسة حتى تشفى امي سريعا . وشعرت شعور الواثق بان الشمعة ستكون اكثر فاعلية في كنيسة كبيرة حقا ، مثل تلك القريبة جدا من السماء .

وكانت الصيدلية عبارة عن بهو ضيق حقير في احد جانبيه اريكة خشبية . وفي الجانب القصي شباك كذلك الذي في مكتب بيع تذاكر السكة الحديد . وكانت هناك فتاة صغيرة ذات وشاح أخضر مخطط حول كتفيها تجلس على الاريكة . وطرقت الشباك ، ففتح لي رجل متوعك المزاج غاضب النظرات . ودون ان ينتظر ان اكمل قولي ، انتزع مني الزجاجة وتذكرة الدواء وانزل ضلفة الشباك دون ان ينبس بكلمة. فانتظرت لحظة ثم رفعت يدي لاعاود الطرق من جديد . فسارعت الفتاة تقول :«عليك ان تنتظر ايها الفتى الصغير . »

وسألتها : « ماذا علي أن انتظر ؟ »

فقالت شارحة : « يجب عليه ان يحضره . وعليك ان تجلس مثلي.»

وجلست سعيدا اذ وجدت من أتسلى بصحبته .

وسألتني : « من اين انت ؟ » واردفت تقول عندما اخبرتها : « انا اعيش في زقاق بلارني . لمن الزجاجة ؟ »

فقلت لها : « انها لامي . »

« مم تشكو ؟ »

« انها مصابة بسعال شديد »

فقالت ممعنة في التفكير : « لابد انها مصابة بالتهاب في الرئة. ذلك ماكانت تشكو منه اختي التي ماتت العام الماضي . وهذا الذي جئت في طلبه مقو لاختي الاخرى . فعليها ان تتعاطى المقويات طول الوقت أهو مكان جميل ذلك الذي تعيش فيه ؟ »

واخبرتها عن الوادي ، فأخبرتني عن النهر المجاور لحيها . ويبدو انه مكان أجمل من حينا ، ووصفته لي . كانت فتاة صغيرة لطيفة المعشر مفرمة بالحديث ، ولم الحظ مرور الوقت ، الى ان فتح الشباك مرة اخرى ودفعت منه زجاجة حمراء .

وصاح الرجل متوعك المزاج : « دولي ! » وأغلق الشباك من جديد.

وقالت الفتاة الصغيرة : « انها لي . دواؤك لن يكون جاهزا قبل فسحة طيبة من الوقت . سأنتظرك . »

وقلت فخورا : « معي بنس » .

وانتظرت حتى دفع بزجاجتي خارجا ، ثم رافقتني حتى الدرجات النازلة الى مصنع الجعة . وفي الطريق اشتريت ببنس حلوى ، وجلسنا نأكلها على الدرجات الاخرى بجوار الملجأ . كان المكان هناك جميلا ، ومنظر برج كنيسة شاندون في الظلال خلفنا ، والاشجار الفتية تتدلى على الحوائط العالية ، وعندما كانت الشمس تبزغ في ومضات ذهبية قوية ، كانت تلقى بظلينا الموصولين على أرض الطريق .

وقالت : « فلنذق طعم زجاجتك ، ايها الفتى الصغير » .

وسألتها : « لماذا ؟ أليس بوسعك ان تذوقي طعم زجاجتك ؟ »

فقالت : « ان طعم زجاجتي فظيع . المقويات دائما كريهة المذاق . يمكنك ان تجربها اذا أردت » .

وتناولت رشفة منها ثم بصقتها بسرعة . كانت على حق ، فقد كان طعمها كريها . وكان أقل ما يسعني ان أفعله بعد ذلك هو أن ادعها تذوق زجاجتي .

وقالت في حماس ، بعد ان تناولت جرعة منها ؟ « ذلك رائع . ان زجاجات السعال غالبا ما تكون رائعة جربها . الا تستطيع ؟ » .

وفعلت ، ورأيت انها كانت على حق بالنسبة لذلك ايضا . كان الدواء حلو المذاق ولزجا .

وقالت بانفعال وهي تتشبث بالزجاجة : « أعطنا جرعة اخرى » .

وقلت : سينفد الدواء كله .

واجابت ضاحكة : « انه لن ينفد . فلديك جالونات منه » .

وعلى نحو ما ، لم يكن في استطاعتي ان أرفض طلبها ، لقد جرفت من مُرفأي الى عالم غير مألوف من الابراج والقصور والاشجار والدرجات والازقة الظليلة ، والفتيات الصغيرات ذوات الشعر الاحمر والعيون الخضراء . وتناولت انا نفسي جرعة واعطيتها اخرى . ثم بدأ الرعب يستولي علي وقلت : « لقد اوشكت الزجاجة على النفاد ، ماذا انا فاعل الان ؟ » .

فنـدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتدلة

بادارة : حلمي المباشر

واجابت قائلة : « أجهز عليها وقل ان الغطاء قد سقط منك » .
ومرة اخرى بدا كلامها مقنعا بما فيه الكفاية . واجهزنا فيما بيننا على ما احتونه الزجاجة . ولما رأيتها في يدي خالية كما جلبتها ، وتذكرت ببطء انني لم أحافظ على وعدي للعذراء المقدسة ، وأنفقت بنسها على الحلوى ، اكتسحني قنوط مريع . لقد ضحيت بكل شيء من أجل الفتاة الصغيرة ، وهي لا تكاد حتى تأبه لي . لقد كانت زجاجة السعال الخاصة بي هي التي طمعت فيها كل الوقت . انني لم أكتشف مكرها الا متأخرا جدا . فوضعت رأسي بين يدي وأخذت أبكي .

وسألتني الفتاة الصغيرة في دهشة : « ما الذي يجعلك تبكي ؟ » .
وقلت لها : « ان امي مريضة ، ونحن نشرب دواءها » .
وقالت باحتقار : « اه ، لا تكن طفلا بكاء عجوزا ! ما عليك الا أن تقول أن السعادة قد وقعت منك . من المؤكد ، ان ذلك شيء يمكن ان يحدث لاي شخص » .

وصرخت قائلا : « ونذرت للعذراء المقدسة شمعة ولكنني أنفقت النقود عليك ! » وانتزعت الزجاجة الفارغة وجريت صاعدا الطريق مبتعدا عنها وانا أولول . والان لم يعد لي الا ملجأ واحد ، وأمل واحد ـ معجزة . وعدت الى الكاتدرالية وركعت امام مذبح العذراء المقدسة طالبا عفوها عن انفاقي بنسها ، ووعدتها ان اشتري لها شمعة بأول بنس أحصل عليه، فقط لو صنعت معجزة وشفت والدتي قبل أن أعود اليها . وبعد ذلك مضيت أجر رجلي تعسا الى البيت ، عبر التل ولكن ضياء النهار كله كان قد خبا الان وأمسى جانب التل الذي كان حافلا بالمهمات ، عالما فسيحا غريبا قاسيا . فضلا عن انني شعرت بأنني جد مريض . واعتقدت انني سأموت . ولعل ذلك كان أفضل على أي حال .

وعندما عدت الى البيت ، صدمني الصمت المخيم على المطبخ ومنظر النار الخابية في الموقد بالحقيقة القاسية . ان العذراء المقدسة قد خذلتني . فلم تحدث أية معجزة ، وكانت أمي لا تزال في الفراش . وفي التو واللحظة أخذت أولول .

وسألتني أمي من الطابق العلوي منزعجة : « ماذا جرى يا صغيري؟»
وصرخت قائلا : « لقد فقدت الدواء » واندفعت صاعدا الدرج لالقي بنفسي على السرير وأدفن وجهي بين الاغطية .

وصاحت وقد زايلها الانزعاج : « أوه ، لعمري، أذلك كل ما يضايقك! واخذت تجري يدها خلال شعري . ثم أضافت بعد برهة : « ان درجة حرارتك مرتفعة » .

وصرخت قائلا : « لقد شربت الدواء » .

وتمتمت مواسية : « أه ، وما الضرر ؟ أيها الصغير المسكين المنكود ! لقد كانت غلطتي انا ان اتركك تذهب كل ذلك الطريق وحدك . ثم تعود بخفي حنين . اخلع ثيابك الان . ويمكنك ان ترقد هنا » .

ونهضت وارتدت خفيها وسترتها ، وفكت حذائي بينما انا جالس على الفراش على انني حتى قبل ان تفرغ من ذلك كنت قد غرقت في النوم . ولم أرها ترتدي ثيابها او اسمعها خارجة . الا انني بعد فترة من الوقت شعرت بيد على جبيني ورأيت ميني ريان تطل علي ضاحكة .

وقالت ، جاذبة وشاحها حولها : « آه ، لن يكون ذلك شيئا . سينام وعندما يستيقظ في الصباح سيكون بخير . الله يعلم يا مسز سوليفان أنك انت التي يجب ان تكوني في الفراش » .

كنت أعرف أن ذلك كان حكما ضدي ، ولكنني لم أكن بقادر أن أفعل شيئا بصدده . وفيما بعد رأيت أمي تدخل حاملة القنديل وجريدتها ، وتطلعت اليها مبتسما . وابتسمت هي لي بدورها . فلتحتقرني ميني ريان اذن بقدر ما تريد . فهناك من لا تشاطرها ذلك . لقد تحققت المعجزة ، بالرغم من كل شيء .

القاهرة — ترجمة نعيم عطية

منشورات
لجنة التأليف المدرسي ـ بيروت

- **المروج** : سلسلة حديثة مصورة في القراءة العربية (ستة اجزاء)
- **مراحل القراءة** : سلسلة جديدة مصورة في القراءة العربية (خمسة اجزاء)
- **الجديد في دروس الحساب** : سلسلة حديثة مصورة في الرياضيات (دفتران لحدائق الاطفال وخمسة اجزاء)
- **الجديد في دروس الاشياء** : سلسلة حديثة مصورة في العلوم (اربعة اجزاء)
- **الجديد في قواعد اللغة العربية** : سلسلة حديثة مصورة في قواعد اللغة العربية (اربعة اجزاء)
- **كيف اكتب** : سلسلة حديثة مصورة في الانشاء العربي (اربعة اجزاء)
- **الجديد في التاريخ** : سلسلة حديثة مصورة في التاريخ ، تأليف الدكتور عادل اسماعيل ـ (ثمانية اجزاء)
- **جغرافية العالم** للجغرافي الشهير الاستاذ دادلي ستامب (اربعة اجزاء)
- **التعريف في الادب العربي** : سلسلة مستحدثة في الادب العربي حسب المنهج الرسمي الجديد للاستاذ رئيف خوري (جزءان)
- **نصوص التعريف** : عصر الاحياء والنهضة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) للاستاذ رئيف خوري
- **اعلام الفلسفة العربية** : اوفى المؤلفات في موضوعه، ويقع في ١٠٧٢ صفحة من الحجم الكبير، تأليف الدكتور كمال اليازجي والدكتور انطون كرم
- **الجديد في الخط العربي** : سلسلة جديدة في الخط العربي بقلم الخطاط الاستاذ كامل البابا (خمسة دفاتر)
- **الجديد في الرسم** (ستة دفاتر)
- **بيوت وازهار** : كتاب في مبادىء المطالعة ، تأليف الاستاذ رشاد العريس